ضع النص التالي بصيغة النفي

كنا ، خلال الأسبوع الماضي ننتظر خطابين هامّين ، خطاب نصر وخطاب ذكرى شهداء . يوم الجمعة في الثاني والعشرين من أيلول أطل سيّد المقاومة على الجمهور الذي تقاطر إلى الضاحية الجنوبية من كل أنحاء لبنان احتفالاً بعيد النصر ، ليقول إن المدخل إلى التوافق الذي أصبح ضرورة بعد النصر ، هو قيام حكومة وحدة وطنية ، مركزاً على الشراكة الحقيقية لقيام الدولة العادلة والقوية والقادرة ، وإنه بعد قيام هذه الدولة يصبح الكلام عن سلاح المقاومة سهلاً ومسهّلاً وذلك انطلاقاً من أن معالجة النتائج لا نتجح إلا بمعالجة الأسباب . كلام السيّد دعا إلى المشاركة ، أي إنه اعترف بالآخر كآخر مختلف وهذه هي الديموقراطية ، وهذه هي اللغة التي يصفونها بالشمولية والخشبية . أتى خطابه سلسلة من الحلقات المبنية على المنطق إذ أنه انطلق من مقدمات ، ووفقاً لآلية عقلانية _ ولو أن النصر إلهي_ ، وصل إلى النتائج المتوقعة من تلك المقدمات الأولية . هذا من حيث المضمون ، أما من حيث الشكل فقد كان خطاب السيّد تجلياً لكل مقومات "الكاريزما" التي يتمتع بها والتي هي مزيج من معطيات متعددة تمنح القائد القدرة على الاتصال والتواصل مع نبض الجمهور فيتحول إلى عازف بارع و لكنه صادق ،على أوتار أوجاعهم وتطلعاتهم وطموحاتهم وأحلامهم و... ببناء دولة عادلة ونظيفة وقادرة على حمايتهم من الكيان الصهيوني العدو .

وأتى يوم الأحد في الرابع والعشرين من أيلول وأطل الحكيم على جمهوره الذي تجمع في باحة كنيسة السيدة في حريصا ، وكنا ننتظره كما انتظرنا السيد من قبله على شاشة التلفيزيون لكن كنا ننتظره لنستمع إلى اللغة الحريرية (المقابلة للغة الخشبية) اللاشمولية. أطل الحكيم ، حيّا الناس الذين كانوا يهتفون له وبدأ الكلام . تابعنا كلامه بكل جدية ، فماذا وجدنا؟ وجدنا سلسلة لا تنتهي من "يقولون" و"نقول" ؛ يقولون أبيض ونقول أسود أو يقولون أسود ونقول أبيض وفي النهاية تبين لنا أنه لم يقل شيئاً من عندياته ؛ وهذا ما دفع البعض إلى التساؤل عما كان سيقوله لو لم يسبقه السيد إلى القول . هنا تذكرت نفسي في الصفوف الابتدائية ، والأستاذ يكتب على اللوح : ضع النص التالي بصيغة النفي وتساءلت ؛ من هو الأستاذ الذي قدّم للحكيم نص السيّد تحت العبارة السابقة ؟ لكن الحكيم ولأنه حكيم أدرك أن عملية النفي تلك ألغته كإنّية أو كذات لها قولها الخاص وأن نفي قول الآخر لا ينتج قولاً مستقلاً ، فال"لا" وال"لن" وال"لم" أدوات النفي للحاضر وللمستقبل وللماضي لا تولد سوى الغياب وهو ما لا يريده لنفسه ، لم يأت إلى جمهوره ليعلن إلغاء ذاته وإلغاءه معه ، وبسرعة استحضر كل أدوات الإثبات التي تمتدّ على الماضي والحاضر والمستقبل معاً ، وقال بنبرة عالية وبتأكيد من إصبع اليد المرفوع " نحن آباء المقاومة وأولادها وأحفادها ." صفّق الجمهور وهتف بحياة القائد الذي استعاد كل كاريزميته في تلك اللحظة . لكن هل انغلقت على الحكيم ، الذي أدرك مفاعيل نفي قول الآخر، مفاعيل الإثبات الثلاثي الذي صاح به بأعلى صوته ؟ ألم يدرك أنه ، بإثباته هذا ، قد حوّل نفي كلام الآخر إلى إلغاءٍ كامل لهذا الآخر ؟ أهذه هي اللغة التي يتهموننا بعدم معرفة استعمالها ؟ أهذه هي اللغة المطلوبة لإنقاذ البلد ؟ ألم يدرك الحكيم أن ردة الفعل هذه بإلغاء لآخر بعد إلغاء الذات السابق هي ردة فعل شمشونية ؟ فبعد سماعي لخطاب الحكيم وبخاصة حين قام بعملية الإلغاء شعرت كأن الفضاء قد امتلأ بصيحة شمشون في الهيكل :" علي وعلى أعدائي يا رب ." وقلت لنفسي :" يا رب استر !!"

د. إلهام منصور.